أزمة الاصطلاح بين فساد الترجمة وسوء الاستعمال (في خطاب اللسان العربي)

The Insufficiency of Terminology between Mistranlation and Misuse in Arabic Discourse

أ. شعبان كحول*¹، د. السعيد مومني²

1. جامعة باجي مختار (الجزائر)، kahoulchabane@gmail.com

2. جامعة 8 ماي 1945 (الجزائر)، moumeni.said@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/14 تاريخ القبول: 2022/12/18 تاريخ النشر: 2023/01/31

ملخص البحث:

يقف المتأمل في خطاب تدريس اللسان العربي وأدابه، بالجامعات العربية، على فوضى الاصطلاحات فيه، إما لضعف ترجمتها أو لسوء استعمالها، إلى درجة انتفاء الإفادة والاستفادة، أحيانا، عن عملية التعليم والتعلم. ولا مشاحة في أن الاصطلاحات هي مفاتيح العلوم، من أضعافها أضع العلوم ذاتها.

وللكشف عن هذا الخلل ومعالجته، اخترنا عينة من الاصطلاحات، كثيرا ما يُساء استعمالها، مثل: اللغة واللسان... وأما جبر الخلل فيطلب العلم بحدود الاصطلاحات، مع استعمالها استعمالا دقيقا، قصد تنمية الإنسان وبناء الحضارة.

وأما الأهداف التي نتجت من حركة البحث في حرية فتتمثل في الدعوة إلى جبر الخلل إن على مستوى الترجمة، وإن على مستوى الاستعمال، ولا يتم ذلك إلا بإبستمولوجية عادلة، تقوم على عقل وازن، وحسٍ لطيف وذوق سامٍ.

الكلمات المفتاحية:

فوضى الاصطلاحات، الاصطلاحات مفاتيح العلوم، العدل الإبستمولوجي، السلامة الاصطلاحية.

Abstract:

In the discourse of teaching Arabic language and literature in Arab universities, the reader encounters confusion in its terminology; whether to poor translation or misuse, to the extent that results in a total lack of value and use in the process of teaching and learning. Undoubtedly, terminologies are the requisites to sciences; hence, misusing them will result in a total loss of the core of sciences themselves. Thus, to reveal and restore this discrepancy, we picked out a set of terminology that is often misused, such as language and tongue. As for the remedying the discrepancies, which requires a good understanding of terminologies and how to use them accurately for the sake of human development and civilization. The goals, resulted from the research movement, are represented in the request for remedying the issue, at the level of translation, and the level of use as well. With fair epistemology, it can be set rationally and affectively.

Keywords: Terminological anarchy, terms keys to science, epistemological justice, terminological safety.

مقدمة:

يقف المتأمل في خطاب تدريس اللسان العربي وآدابه على فوضى الاصطلاحات فيه، إلى درجة انتفاء الإفادة والاستفادة معها أحيانا، عن عملية التعليم والتعلم، ذلك أن الاصطلاحات هي مفاتيح العلوم¹، ومن أضعها أضع العلوم ذاتها، ويكون فاقد الاصطلاح في تعليمه أو تعلمه أشبه بمقطع اللسان في سياق التبليغ ومقام البيان.

وإذا كان الاصطلاح بهذه القيمة المعرفية، فلأنه قبل تجسيده لفظاً بعينه في السمع، كان مفهومًا ناجزًا في الذهن، والفهم أصل العلم بين الناس. وعليه فلا علم دون مفاهيم تحدد هويته وتسوي إتيتها المائزة. ولا تُداول المفاهيم فتستعمل إلا بإجرائها في الدرس كلمات مفاتيح، والإجراء هو تحويل المفاهيم إلى خطاب يفيد المتعلم في مجال تخصصه².

لكل علم، بل لكل درس اصطلاحاته هي روحه، والاصطلاح كما جاء في الأثر العربي هو "لفظ معين بين قوم معينين"³، فإذا فسُد أو انعدم بينهم ذهب شرط اجتماعهم، وضاعت الغاية التي طلبوها منه. وإذا كان الخطاب أكثر ضبطا من حيث الاصطلاح، كان أجدى وأشد مضاء نحو فتوح من العلم والتحصيل، وخاصة في الدرس العلمي، حيث تغدو الاصطلاحات فيه أنوارا عقلية من نالها واستعملها حسنا، أدرك حقيقة العلم الذي هو فيه، وأمدّ متعلمه بفيوض منه.

الاصطلاحات عُملة صعبة من امتلكها امتلك العلم نفسه ومن فرط فيها أضعاه. وهي، عبر التاريخ، ليست على حال راجحة دائما، وإنما تعتدل في عصر وتفسد في آخر، مثل حالها عند العرب بين ماضيهم وحاضرهم، وبقلقها تضطرب العقول وتفسد الأفكار قبل أن تظهر بلبلة في الألسنة نذيرة انحلال العلوم بفساد درسها. وهذا حال عصرنا في تدريس اللسان العربي وآدابه، مثلا، فهو عصر فوضى الاصطلاح على غرار الكثير من التخصصات بالجامعة العربية، إذ تغلب الضحالة والاجترار والابتذال وسوء استعمال الاصطلاح بين المعلم والمتعلم، دون رغبة في التجديد والابتداع أو الأخذ بالسلامة الاصطلاحية.

ولفساد الاصطلاح، بيننا، أسباب موضوعية، رأسها الانحطاط الفكري، وتدني الذوق، وانعدام الحوار، وانحصار الثقافة في المجتمع، وما زاد الاصطلاح تقهقرا نهوض بعض العرب إلى ترجمته دون مؤهلات لمواجهة الترجمة فن الخيانة النبيلة كما وصفها الإيطاليون إبان نهضتهم. وفي الغالب الأعم، تأتي معلمين ومتعلمين، نجرت الاصطلاح دون وعي إبستمولوجي ناقد مقوم، فنستعمله اتفاقا، إذ كيفما يكون استعماله يكون مفهومه، دون أن يحصل في إدارك الكثير منا أنه لبنة معرفية في بناء الذات والحضارة.

وأمام حال الاصطلاح البائسة عندنا، ومثال ذلك في تدريس اللسان العربي وآدابه، نورد جملة من الاصطلاحات القلقة ذات المفاهيم الممسوخة بالترجمة حيناً، وبسوء الاستعمال حيناً آخر، وهي: اللغة واللسان، واللسانيات واللسانية، والمنهج والمنهجية. تلك هي إذن بعض الاصطلاحات الغامضة وغيرها كثير في درس اللسان العربي وآدابه، جعلناها موضوع مقالنا.

1. إشكال اللغة واللسان:

نبدأ كلامنا، جرحا وتعديلا، على تلك العينة من الاصطلاحات المستهدفة، بالحديث عن ثنائية اللغة واللسان، حيث نلاحظ خلطا فظيحا بينهما في استعمال الخاصة، في العصر الحديث، يوصل خطابهم إلى

أزمة الاصطلاح بين فساد الترجمة وسوء الاستعمال (في خطاب اللسان العربي)

مستوى العامة، بل يتحول ذلك الخلط إلى تخليطٍ في مفهوميهما، وكأن هؤلاء من عصور ما قبل التخصص الاصطلاحي، أو أنهم يريدون إرجاع المعرفة إلى ماضٍ تولى دون رجعة: فبعض منهم يرادف بينهما مثل مازن الوعر⁴، وبعض يجعل هذا في موضع ذلك⁵، وآخرون يستعملون اللغة واللسان مصادفةً، وكأن العلم في عرفهم يحصل عرضاً ودون معاناة التحصيل وعناء المواضعة، وهكذا تزداد الجلبة.

إن اللغة واللسان في "معجم اللسانية"⁶ الحديثة "الحريص على تسمية المفاهيم العلمية بأسمائها، كلمتان متغايرتان، أو مصطلحان مختلفان، لكل منهما مضمون يخصه، وحقل دلالي ينفصل به عن قرينه"⁷. والباحثون الفرنسيون، مثلاً، يميزون تماماً اصطلاح "Le langage" المقابل عندنا لاصطلاح "اللغة"، من اصطلاح "La langue" المقابل عندنا لاصطلاح "اللسان"⁸.

يقول، مثلاً، جورج موناين (G. mounin): "le langage est l'aptitude observée chez tous les hommes, à communiquer au moyen des langues" وترجمته هي ما يلي: "اللغة استعداد طبيعي لدى آدميين كافة، للتواصل بواسطة الألسنة"⁹. وعليه فإن اللغة ملكة¹⁰ "une faculté"¹¹ خاصة بالإنسان دون سائر الحيوان. وقد اكتشف مركزها في الدماغ الجراح الفرنسي بول بروكا (Paul Broca)، حيث أعلن أن إصابته في المخ "له علاقة بالصعوبة الشديدة في إنتاج الكلام"¹²، وبعده اكتشف الجراح الألماني كارل فيرنيك (Karl Wernicke) منطقة فهم الكلام وسجل أن إصابة هذا الجزء من المخ تجعل المرضى "يعانون من صعوبات فهم الكلام"¹³.

وهكذا فاللغة هي استعداد فطري واحد ينمى بالاكْتساب في المجتمع، ويتمتع بها الناس كافة، في أي مكان وزمان، وهي تتوسل أنظمة تواصلية تداولية بين الأفراد، متعددة تتنوع بتنوع الجماعات اللسانية، وتسمى هذه الأنظمة الألسنة "les langues"، "اللغة لغة واحدة، واللسان ألسنة كثيرة تعد بالآلاف"¹⁴، وإذا كانت اللغة ملكة إنسانية فطرية، فإنها إن لم تنم في مرحلة عمرية محددة، تضمر، وتكون تنميتها بعدئذٍ عسيرة جداً، ولن تبلغ الكفاية في التنمية بعد مرحلة نموها وتنميتها.

وللتذكير العلمي فإنه من حيث الأصل، فإن أهل التحقيق والتدقيق يرون "أن كلمة (لغة) يونانية، دخلت إلى العربية عن كلمة (logos)"¹⁵، وكلمة (logos) اليونانية لها مفاهيم كثيرة ومنها "الفاعل- العقل أو العقل المنغرس في الفعل"¹⁶.

وأما مفهوم (logos) الأقرب إلى مجال حديثنا في اللسان اليوناني فهو العقل أو التفكير¹⁷ "la raison"¹⁸، وبذلك تكون اللغة ملكة إنسانية تنتج الكلام وفهمه¹⁹ بوساطة اللسان، وليست شيئاً آخر غير ذلك.

أما اللسان (la langue) فهو نظام أدلة "un système de signes"²⁰ تواصلية يمتلكه، بالاكْتساب، كل فرد متكلم - مستمع ينتمي إلى مجتمع لساني محدد²¹ "ونستطيع أن نعين مكانه (...) حيث تلتئم الصورة السمعية وتترابط مع التصور"²².

وإذا كانت اللغة واحدة فاللسان كثير²³، إذ "من الطبيعي أن ينسب كل لسان إلى شعب أو أمة أو جماعة، فيقال: اللسان العربي، اللسان الفرنسي، اللسان الإنكليزي، اللسان الألماني، اللسان العبراني..."²⁴.

لم يكن العرب، قبل عصر التخصص الاصطلاحي، يميزون، كغيرهم، بين اللغة واللسان، فجعلوهما مترادفين ينوب هذا عن ذلك حيث "استعمل ابن جني كلمة لغة في موضع كلمة لسان وبالمعنى الاصطلاحي الذي نحن في صدد، استعمالا واسعا"²⁵ مثل قوله: "إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"²⁶، وأما ابن منظور فكان أكثر تخصصا في استعمال اصطلاح اللسان حين سعى معجمه لسان العرب، ولم يسمه لغة العرب، فجاء استعماله لكلمة اللسان بالمفهوم الاصطلاحي الدقيق الذي ظهر حديثا، غير أن تلك التسمية نابعة من رؤية حدسية دون نظر إبستمولوجي يحصنها²⁷، والدليل على ذلك أنه يرادف بين اللغة واللسان في مقدمة معجمه "لسان العرب"²⁸، إذ يقول مثلا: "إن الله (...) شرف هذا اللسان العربي بالبيان على كل لسان، وكفاه شرفا أنه به نزل القرآن"²⁹، وبعد حين يجعل اللغة موضع اللسان في قوله: "وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية، فَجَمَعْتُ هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعتة كما صنع نوح الفُلْكَ وقومه منه يسخرون، وسميته لسان العرب"³⁰.

أما النص القرآني فلم يستعمل كلمة لغة، وحدها كلمة لسان استعملت فيه ثماني مرات³¹ بمفهوم مطابق كليا للمفهوم الاصطلاحي الذي طرحته اللسانية (la linguistique) الحديثة³²، وكان دو سوسير في وصفه اللسان بأنه نظام دوال تواصلي في الجماعة اللسانية الواحدة³³، كان يمتح مفهومه من مفهوم اللسان القرآني، باعتباره خصيصة قومية، مثلا قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾³⁴، وقال أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيَلْسِنِ قَوْمِهِ﴾³⁵.

وهكذا كان حصول المنعطف التاريخي الكبير في التمييز بين اللغة واللسان مع السويسري فرديناند دو سوسير ومعه حدثت القطيعة المعرفية بين الترادف بينهما أو في درسهما دون أصولية معرفية عاملة، حيث بين بمنهجه العلمي أن اللغة ملكة إنسانية تخص البشر جميعا، وأن اللسان خصيصة قومية تختلف من قوم إلى قوم بينما بين أن الكلام خصيصة فردية إذ هو الناتج الدلالي المحول إلى ألفاظ تخرجها اللغة نطقا بوساطة اللسان، فتدرك بالسمع حيث يحول المتلقي الكلام إلى ناتج دلالي بحسب ما أدرك، وبذلك يتم التواصل والتفاهم بين أفراد الجماعة اللسانية الواحدة³⁶.

ومن الغرابة بل من الشذوذ أن نجد في عصرنا من هو في مقام العلم ويجادل دونه، فيدعي باسم اللسانية دراسة اللغة "le langage"، ونسي أن أبا اللسانية (la linguistique) دو سوسير قد أقصى من اهتماماته دراسة اللغة كونها ظاهرة طبيعية عامة³⁷ غير متجانسة (hétéroclite)³⁸ فيها النفسي والاجتماعي والفيزيولوجي والفيزيائي في آن³⁹ وهي "تنتمي إلى مجال فردي ومجال اجتماعي مما يجعل إخضاعها للمنهج العلمي صعبا، بل قد يكون مستحيلا"⁴⁰. وبالمقابل ركز دو سوسير على اللسان (la langue)، لأنه نظام من الدوال تواصلي متجانس⁴¹ ومادته الصوت وبأكثر دقة الحرف.

وللتمييز بين اللغة واللسان نجعل دو سوسير حكما في ذلك حيث يقول: "فيما يخصنا، فإننا نفرق بين اللسان (la langue) وبين اللغة (le langage)، فليس اللسان إلا جزءا محددا من اللغة، وهو جزء أساسي لا شك فيه. وبهذا الاعتبار يكون اللسان في ذات الوقت إنتاجا اجتماعيا حادثا عن ملكة اللغة، وعن أنواع التواطؤ والاتفاقات الضرورية التي أقرها المجتمع وسنها لكي تتأتى ممارسة هذه الملكة عند الأفراد"⁴².

هذا بيان موجز في الفرق بين اللغة واللسان، وهو الأمر الذي يترتب عليه وضع كلا الاصطلاحين في الموضوع الذي يوجبه العلم بهما، ولا نخلط بينهما في الخطاب العلمي، وخاصة أثناء تدريس اللسان العربي وآدابه. وعدم التفريق بين اللغة واللسان في عرف اللسانيين⁴³ "les linguistes" "يعد خطأ لا يمكن غفرانه"⁴⁴ كما يقول ناظم عودة.

2. إشكال اللسانيات واللسانية:

ومن ظاهرة اللغة واللسان الأنطولوجية تخرج ظاهرة معرفية، وهي العلم بهما وبمسائلهما، تلك الثنائية تتمثل في اللسانيات واللسانية.

أصل العلم باللسان، في معاصرتنا، هو فكر دو سوسير، ولا مشاحة في ذلك، إذ أسس درس اللسان على مرتكزات جديدة، تظهر، خاصة، في كتاب: "cours de linguistique générale" الذي حرره بعض تلامذته سنة 1912، انطلاقاً من كراساتهم التي دونوا فيها خلاصة فكر دو سوسير في مسائل اللغة واللسان.

وقد أطلق دو سوسير على علمه باللسان اسم "la linguistique" المركبة من الأصل (langue)/اللسان ومن اللاحقة (ique) (ية) علامة المصدر الصناعي في اللسان العربي، والذي اكتسب حديثاً، علاوة على وظيفته القديمة، بعدا علمانياً⁴⁵ وعديله في العربية علم اللسان وبالتالي فإن علم اللسان هو "اللسانية"⁴⁶ بصيغة المصدر الصناعي حيث إن اللسانية هي علم اللسان⁴⁷ "la linguistique" est "la science de la langue".

ترجم العرب اصطلاح "la linguistique" السوسيري ترجمات عديدة فيها الأصيل والممسوخ ومنها: علم اللغة⁴⁸، واللغويات⁴⁹، وعلم اللسان⁵⁰، واللسانيات⁵¹، والألسنية⁵²، واللسانة⁵³، واللسانية⁵⁴ التي اغتدت عنواناً لمعجم متخصص هو "معجم اللسانية"⁵⁵ لبسام بركة⁵⁶، وبلغت ترجمات الاصطلاح "la linguistique" إلى العربية سبعا وعشرين ترجمة أو تزيد، كل واحدة تختلف عن الأخرى. "اختلافاً ذريعاً يشي بالخاتمة المساوية للاصطلاح العلمي العربي"⁵⁷.

وأمام هذا السببان الاصطلاحي في ترجمة "la linguistique" إلى العربية، يهمننا من تلك الترجمات كثيراً الوقوف على الإستيمولوجية التأويلية في تخريج الاصطلاح العربي وفق قواعد علم الاصطلاح⁵⁸، كما يهمننا مدى استيعاب تلك الترجمات مفهوم "la linguistique" السوسيري، دون مسخه، تقعيراً أو تحديداً، ثم كيف يستعمله المعلم والمتعلم من أجل توصيل وتحصيل المعرفة في خطاب تدريس اللسان العربي وآدابه.

وإذا كان النظر العلمي في تأثيل الاصطلاح أو ترجمته، وفق قاعدة العدل الإستيمولوجي، يستبعد من دائرة الاهتمام الترجمات الآتية وهي: علم اللغة واللغويات وعلم اللسان والألسنية واللسانة، لأسباب موضوعية لا يسع المجال ذكرها جميعاً، فإنه يبقى على اصطلاح اللسانيات واللسانية من أجل النظر فيهما نظراً تأصيلياً، ويكون سندنا في ذلك منجزات التراث ومستجدات المعاصرة، ذلك أن إستيمولوجية التراث العربي الإسلامي في وضع الاصطلاح ذات كفاءة مفهومية وإجرائية نافذة، وأصالة وازنة، مثلما للمعاصرة أصالتها الراجعة. ومن لم يتمكن من الأصالتين أو أساء استعمالهما حَرَجَّ ما يظن اصطلاحات أو ترجمات اصطلاحات مشوهة المفاهيم عشواء حَفَشَاءَ غير مبصرة.

ولذلك فإن العودة إلى أصولية وضع الاصطلاح كما تلتبس في خطاب القدامى من فلاسفة وعلماء وباحثين، مدعومة بإبستمولوجية العصر، تفيد كثيرا في وضع اصطلاحات جديدة لمفاهيم العلوم المستجدة أو الوافدة إلينا.

وفي ضوء ذلك كله، فإن اللسانية مصدر صناعي، وهو اسم منسوب⁵⁹، مصوغ "بزيادة ياء مشددة وتاء على الاسم [اللسان] للدلالة على حقيقته وما يحيط بها من الهياكل والأحوال"⁶⁰، ووظيفة لاحقة المصدر الصناعي "ية" هي نقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية، وبذلك فإن مهمة المصدر الصناعي قديما مثل اللسانية هي حصر أو تقييد أو حد صفات الذوات أو الأشياء أو المعاني⁶¹ مثل الأحمدية صفات أحمد، والأسدية صفات الأسد، والأرضية صفات الأرض، والنفسية والعقلية صفات النفس والعقل، وكذلك اللسانية هي صفات اللسان⁶² المطلوب دراستها والعلم بها.

إلا أن المصدر الصناعي قد اكتسب حديثا وظيفة جديدة أملت ضرورات العصر حيث "الاستعمال الاصطلاحي قد محض صيغة المصدر الصناعي للدلالة على المفهوم التجريدي والنزوع المذهبي والخصوصية المعرفية والهوية العلمية"⁶³، ولذلك استخدمه الباحثون العرب في ترجمة أسماء العلوم الأجنبية مثل التي تنتهي باللاحقة (ique)⁶⁴ مثل "la linguistique" وهي لاحقة الاصطلاحات الدالة على العلوم مثل "la stylistique": الأسلوبية وهي علم الأسلوب⁶⁵ وكذلك اللسانية⁶⁶ "la linguistique" أي علم اللسان. وهكذا يتبين "أن صيغة المصدر الصناعي كقيلة تتضمن الدلالة العلمية"⁶⁷.

ولقد استعمل كثير من المتنورين العرب اصطلاح "اللسانية" ترجمة لاصطلاح "la linguistique"⁶⁸ وبديلا من غيره من الترجمات مثل اللسانيات، لعل خاصة بالنزوع الاصطلاحي، كما تبلور في التراث العربي الإسلامي، المؤدي إلى الاختلاف المفهومي بين ما تكرسه اللاحقة (ية) واللاحقة (يات)، في الخطاب المعرفي لدى العلماء المسلمين القدامى.

إلا أن هناك من الباحثين العرب من اعترض على استعمال "اللسانية" علما باللسان وعديلا لاصطلاح "la linguistique"، دون مسوغات علمية مقنعة حيث يقول أحمد حاطوم "أما اللسانية التي يستعملها بعض الباحثين والكتاب، ولاسيما في المغرب، فإننا إذا تساهلنا بالحكم عليها، ذكرنا افتقارها إلى الدقة"⁶⁹، وهو حكم، بميزان العلم، مردود مدحوض بالحجة العلمية، كون اللسانية اصطلاحا منبثقا من عدل إبستمولوجي يجمع بين أصالة التراث والمعاصرة حيث استوفى شروط المصدر الصناعي كصوغه من مفرد وهو اللسان وإفادته صفات الشيء وتمخضه للعلمية، بخلاف "الألسنية" التي يراها أحمد حاطوم ترجمة سوية لاصطلاح "la linguistique"⁷⁰، فإنها تفتقر إلى التأثيل الاصطلاحي، كون الألسنية مصدرا صناعيا منسوبا إلى جمع لسان وهو ألسن، وأما المصدر الصناعي فلا صوغ له وفق السوية الصرفية العربية إلا من مفرد⁷¹ وهو كالنسب لا يكون إلا كذلك⁷²، ذلك "أن من حكم النسب أنك إذا نسبت إلى الجماعة أن تنسب إلى الواحد منها، فتقول في النسب إلى الفرائض: فرضي، وإلى البطائح: بطّحي"⁷³.

وإذا كان أحمد حاطوم في انتقاده اللسانية قد انتقصها قيمتها الاصطلاحية، فإن يوسف وغليسي لا يرى ذلك في نقده إياها، بل جعلها أدق اصطلاحا من اللسانيات⁷⁴، وكذلك فعل وائل بركات⁷⁵، وغيرهما كثير.

أزمة الاصطلاح بين فساد الترجمة وسوء الاستعمال (في خطاب اللسان العربي)

وأما الأخذ بالعدل الإبستمولوجي في صوغ الاصطلاحات، فيوصل إلى أن اللسانية علما باللسان أدق ترجمة لاصطلاح دو سوسير "la linguistique" من اصطلاح اللسانيات مثلا، ومن غيرها من الترجمات الأخرى أو الاصطلاحات التي وضعها العرب عديلا لها، لأن اصطلاح دو سوسير "la linguistique" جاء عنده بصيغة المفرد، وفي هذه الحال لا بد من احترام الاصطلاح المترجم احتراما لفكر صاحبه.

ويجد المتتبع بروية وطول نظر صيغة الجمع فعاليات (وفعاليات) وهو منسوب جمع جمع المؤنث السالم، والتي جاء عليها اصطلاح اللسانيات، على غرار نظائر كثيرة تجيش في كتب التراث على اختلاف علومها لا تشير، في ما يبدو، إلى أسماء العلوم وإنما تشير إلى مسائلها، وشتان بين العلم ومسائله، حتى ولو زعم بعض أنها دالة على العلم. أما المصدر الصناعي فله دلالة على العلم ويظهر ذلك في القديم كما في الحديث، قال أبو حامد الغزالي: "أما الرياضيّة: فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم"⁷⁶، وعليه فالرياضيّة هي "la mathématique" وأما مسائلها البحثية فهي "les mathématiques"⁷⁷ وشتان بين "la mathématique" علما، و"les mathématiques" موضوع ذلك العلم في فلسفة الاصطلاح، وهكذا نسجل أن اصطلاح اللسانيات في الفكر العربي المعاصر قلق مضطرب مشوش يُقشُّ أشتاتا أخلاطا من المفاهيم جمعت من هنا وهناك فهي، مرة عندهم، علم اللسان وعلم اللغة حيث رادفوا بين اللسان واللغة وهذا غير مقبول في إبستمولوجية الاصطلاح، وهي، مرة أخرى، مسائل علم اللسان... وهكذا يشتد الهزج والمرج والجلبة، مثلما يظهر ذلك في قول "مازن الوعر": "اللسانيات مصطلح أتى من اللسان، واللسان يعني اللغة، فأضفنا الياء والألف والتاء، فأصبح علما يبحث في اللسان أي في اللغة. فإذن، اللسانيات هي الدراسة العلمية للغات البشرية من خلال لغة كل قوم من الأقسام..."⁷⁸.

إن مازن الوعر، كما نرى، لا يفرق، في قوله المذكور، بين اللغة واللسان، بل يؤكد ترادفهما، وهو أمر محير، أن يصدر هذا الحكم عن عالم بمسائل اللغة واللسان!.

وأما إذا أعدنا، اضطرارا، قول ناظم عودة الذي يشير إلى أن عدم التفريق بين اللغة واللسان "يعدُّ خطأ لا يمكن غفرانه"⁷⁹، فيتبين عمق أخطأ الأزمّة الاصطلاحية في الفكر العربي المعاصر، ويتضح أكثر تهافت فكر مازن الوعر في هذه المسألة إذا قابلناه بقول أحمد حاطوم الذي يرى أن اللغة واللسان "مصطلحان فنيان مختلفان متميزان، كل منهما يعبر عن مضمون يخصه، وينفرد بحقل دلالي مستقل به"⁸⁰، ويضيف قائلا: "اللغة واحدة واللسان كثير، اللغة لغة واحدة، واللسان ألسنة متعددة، بل باللغة التعدد"⁸¹، وكذلك إذا حاكمناه في ضوء نتائج دو سوسير الذي وضع حدا للترادف بين اللغة (le langage) واللسان (la langue)⁸² يتبين خلط مازن الوعر بين مفهوميهما، بل تخليطه فيهما.

لقد وقع اصطلاح اللسانيات في حَيْصَ بَيْصَ بدلالته مرة على العلم ومرة على موضوع العلم، ويتجلى ذلك أكثر عندما نقاربه في ضوء نظائره له وردت في التراث العربي الإسلامي، والتي جاءت مثله على صيغة المنسوب بجمع المؤنث السالم، ومن ثمة يمكن معرفة ما إذا كانت اللسانيات تدل على العلم باللسان، أو أنها تدل على مسائل اللسان موضوع العلم بها.

وتتبع الاصطلاحات على صيغة المنسوب بجمع المؤنث السالم "فعاليات" في كتاب المنقذ من الضلال، يساعد على فض هذا الإشكال ومن الاصطلاحات النظائر التي وردت فيه على تلك الصيغة ما يلي: الحسيات،

والضروريّات، والجَلِيّات، والتقليديّات، والنظريّات، والعقليّات، والأوليّات⁸³، والرياضيّات، والإلهيّات⁸⁴، والمنطقيّات⁸⁵، والكليّات، والجزئيّات⁸⁶، والسياسيّات⁸⁷، والكلاميّات⁸⁸، والطبيعيّات⁸⁹.

هذه الاصطلاحات التي أوردها أبو حامد الغزالي في كتابه المذكور، تدل بسياقها النصي على صفة النسب بصيغة جمع المؤنث السالم، مثل "الطبيعيّات" التي تشير إلى المسائل الطبيعيّات، وهذه العبارة من باب حذف الموصوف والإبقاء على الصفة، ولا تدل على أسماء علوم على صيغة جمع المصدر الصناعي، لأن ذلك "من الممنوعات اللغوية"⁹⁰، وحجتنا في ذلك أن أبا حامد الغزاليّ ليس معاصرا لنا حتى لا يرى مانعا في فأس اللسان العربيّ دون حرج، وإنما أصيل في لسانه، أصوليّ في تخريج الاصطلاحات، وهكذا فليست "اللسانيّات" من باب جمع المصدر الصناعي (اللسانية- اللسانيّات مثلا) كما بدا ذلك للباحث يوسف وغيلسي⁹¹ وإنما هي من المنسوب الذي جُمع جمع المؤنث السالم.

وأما حرف (s) من اللاحقة (ics) في اللسان الإنجليزي مثل (stylistics) أو (linguistics) وغيرهما، وذلك الحرف يختفي في اللسان الفرنسي مثل "la linguistique" و"la stylistique"، فإنه ليس علامة دالة على الجمع كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين الجزائريين⁹²، وإنما اللاحقة "ics" كلها تدل على النسبة⁹³ التي أعطت المصدر الصناعي وهو اسم منسوب، وأما اعتقادهم أن الاصطلاحات الإنجليزيّة المختومة بحرف (s) والأخرى باللاحقة "ics"، هي جمع، فهو الذي جعلهم يذهبون إلى أن جمع صفة النسب جمع المؤنث السالم هو جمع مصادر صناعية.

إن اصطلاحات أبي حامد الغزالي المذكورة، سابقا، مثل: العقليّات، والإلهيّات، والسياسيّات، والطبيعيّات... هي من باب حذف الموصوف والإبقاء على الصفة دالة عليه لشيوع هذه العبارات في بحوث ذلك العصر، وذلك طلبا للاقتصاد في الكلام، وكذلك يكون حال اللسانيّات، حيث تكون العبارة قبل حذف الموصوف هي "المسائل اللسانيّات"، إذ تضمن حذف الموصوف المسائل، مع الإبقاء على صفة النسب وهي "اللسانيّات"، ويبقى السياق كفيلا بالإيحاء بالموصوف المحذوف وهو المسائل أو القضايا أو الموضوعات أو غير ذلك بحسب التقدير.

وعليه فاللسانيّات، وهذا التخريج، ليست جمع مصدر صناعي، وبالتالي فهي لا تدل على العلم، وإنما هي صفة نسب تدل على مسائل أو موضوعات العلم، والدليل على ذلك ثابت في التراث العربي الإسلامي مثل عنوان كتاب لأبي علي الفارسي واسمه "المسائل البصريّات"⁹⁴، فلو حذفنا من العنوان "المسائل" وهي موصوف تبقى الصفة "البصريّات" دالة على موضوع علم البصريّات، وكذلك بحذف الموصوف "المسائل" مثلا تبقى "اللسانيّات" صفة دالة على موضوع "علم اللسانيّات"⁹⁵. وهكذا يتضح الأمر ويتبين أن فرقا إستمولوجيا قائم بين اللسانيّات موضوعا وبين علم اللسانيّات الباحث فيها مثل: "الطبيعيّات"⁹⁶، و"علم الطبيعيّات"⁹⁷، و"النظريّات"، و"علم النظريّات"⁹⁸، وكذلك "الرياضيّات" "les mathématiques" و"علم الرياضيّات" "la mathématique"⁹⁹.

إن التفريق بين المسائل وعلوم المسائل على مستوى المفهوم والاصطلاح أمر إستمولوجي واجب، ولا يكون إلا بالتسلح بأصالة التراث والمعاصرة معا، وحينذاك نميز بين اللسانيّات مسائل في بحث اللسان وبين

علم اللسانيات باحثا فيها، مثل تمييزهم قديما بين البصريّات وعلم البصريّات وبين الرياضيات وعلم الرياضيات وبين الطبيعيات وعلم الطبيعيات كما وضعنا سابقا.

هذا التأثيل الاصطلاحي الموافق للعدل الإيستيمولوجي، هو واجب على المعلم والمتعلم، أن يتطّلباه، ترشيدا للعلم طبيعة ومنهجيا ومسائل وغايات، ودون ذلك تستغلق العلوم، وتنطمس مشكاة المعرفة، ويصبح وجود المؤسسة التعليمية مثل عدم وجودها، إذا لم تشرق في ذهن الجميع غايتها الأبرز وهي صناعة العلم، ونشره قصد الانتفاع به.

3. إشكال المنهج والمنهجية:

ومن الاصطلاحات التي يُخلطُ بين مفاهيمها عندنا في تدريس اللسان العربي وآدابه، إلى درجة التخليط فيهما، ثنائية المنهج والمنهجية، إذ كثيرا ما نقرأ ونسمع المرادفة بينهما، أو استخدام هذا، خطأ، في موضع ذاك، مثل قولهم: استعمل فلان منهجية محكمة في بحثه. أو قولهم: المنهجية هي الطريقة التي يتبعها الباحث للوصول إلى الحقيقة. وكلا القولين مغلوطين، لأن الأول صحيح في وصف المنهج لا في وصف المنهجية، ولا يصح الثاني لوصف المنهجية وإنما هو من تعريفات المنهج. وسيأتي الحديث موضعا حدود كليهما.

1- المنهج:

أ_ المنهج وضعا: الطريق الواضح¹⁰⁰، وقد استعمل الفكر العربي المنهج مقابلا للاصطلاح اليوناني "methodos"¹⁰¹ بمعنى البحث أو النظر عند أفلاطون¹⁰²، وبمعنى البحث عند أريستوطاليس¹⁰³.

ب_ المنهج اصطلاحا: وأما المنهج اصطلاحا فقد أحكم حدّه جماعة بورت رويال (port-royal) إذ هو عندهم "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"¹⁰⁴.

وقد قاد "كانط" ثورة جذرية نقدية في الفكر المنهجي، تمخضت عن ميلاد المنهجية أو علم المنهج (la méthodologie)¹⁰⁵ حيث هو واضح هذا الاصطلاح¹⁰⁶، وسيأتي الحديث عنها لاحقا. وكان للمفكرين العرب، حديثا، إسهامات في تحديد مفهوم المنهج وإبرازه، وهي في أغلبها تستند إلى مرجعية معرفية أوربية، مثلما يقول عبد الرحمن بدوي عن المنهج بأنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القوانين العامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"¹⁰⁷.

والحق أن التمكن من مفهوم المنهج واستعماله حسنا في التدريس مع استغلاله بكيفية لائقة من قبل المعلم والمتعلم، يساعد كثيرا على تنمية العقل وتهذيب الذوق وتجويد التوصيل والتحصيل معا، وأما إساءة فهمه واستعماله ففيها ضرر كبير بالعلوم، لأن الأخطاء التي تنسب عادة إلى العلوم، هي أصلا، أخطاء منهجية، وفي هذا الصدد يقول رينيه ديكرت: "خير للإنسان أن يعدل عن التماس الحقيقة من أن يحاول ذلك من غير منهج"¹⁰⁸.

ويقوم المنهج، في عمومته، على أربع قواعد ضبطها ديكرت كما يلي: اليقين، والتحليل، والتركيب، والتحقق¹⁰⁹، ومن عموم المنهج تتفرع مناهج كثيرة تختلف باختلاف الميادين والموضوعات في البحث العلمي. إن غاية المنهج هي صون الناهج من الوقوع في الهوى أو التهور أو "التردي في الأخطاء"¹¹⁰، ذلك أن أخطاء العلم، كما أسلفنا، هي أصلا أخطاء في المنهج¹¹¹، وعليه "فالمنهج الخاطئ يؤدي إلى نتائج خاطئة"¹¹².

وإذا كان للمنهج مثل هذه الأهمية في قيادة العقل والحس والسلوك لدى المعلم والمتعلم "صار لازماً لكل عمل يقوم به الإنسان، ولا يجادل أحد في ذلك"¹¹³، إذ كلما كان منهج البحث العلمي في التدريس أكثر أصالة ودقة كانت النتائج أكثر صواباً وفائدة.

2- المنهجية:

أ - المنهجية وضعاً: وأما المنهجية وضعاً فهي من الاصطلاحات المستحدثة في الفكر العربي الحديث، فلم تذكر في معجمات اللسان العربي القديمة والحديثة، غير أن صيغتها الصرفية مصدراً صناعياً هي واحدة من صيغ الاشتقاق في اللسان العربي، حيث جاء، في التراث العربي الإسلامي كثير من المصادر الصناعية مثل: الحريرة دالة على وصف الحر، والعبودية على وصف العبد، والجاهلية على وصف الجاهل، والإنسانية وصفاً للإنسان، والأحمدية دالة على حقيقة أحمد، والأسدية على الأسد.

إن اللاحقة التي يصاغ بها المصدر الصناعي وهي ياء مشددة وتاء مربوطة في آخره (يَّة) تنقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية¹¹⁴، وهي فارزة تميز المشتق وهو المصدر الصناعي من المشتق منه، في الصيغة والمفهوم، ثم إن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى تغيير في المعنى¹¹⁵.

وعلى الرغم من كل ذلك الضبط المبين لمعاني الاصطلاحات، فهناك من المعلمين والمتعلمين من يرادف بين المنهج والمنهجية مع اختلافهما في الصيغة المؤدي إلى اختلافهما في المفهوم، وهذا هو عيب البصيرة الموصل إلى فوضى الاصطلاحات وتهافتها في تدريس اللسان العربي وأدابه عندنا.

أما وظيفة المنهجية، مصدراً صناعياً، فتحديد حقيقة المنهج وضبط صفاته.

وهكذا، يتضح أن اصطلاحي المنهج والمنهجية ليسا مترادفين، بل مختلفان تماماً من حيث الصيغة الصرفية المؤدية إلى اختلافهما في الدلالة المعجمية، وفي المفهوم الاصطلاحي، وأما توهمهما مترادفين فلهو من الغلط العضال في العلم الذي يضر بالموقف التعليمي بين المعلم والمتعلم، إذ معه يبطل التوصيل والتحصيل.

ب - المنهجية اصطلاحاً: سبقت الإشارة إلى عدم ذكر كلمة المنهجية في المعجمات اللسانية العربية القديمة والحديثة، كونها مستحدثة في الفكر العربي على غرار غيرها من الاصطلاحات الجديدة التي ترجم بها العرب ما لدى غيرهم من المفاهيم¹¹⁶.

وقد ذكرتها، مؤخراً، بعض المعجمات مزدوجة اللسان المعاصرة مثل "المنجد الفرنسي العربي" الذي ظهرت طبعته الأولى سنة 1972، وقد جاء في طبعته الثالثة سنة 1984 ما يلي: "méthodologie: منهجية"¹¹⁷، كما ذكرها "المنجد العربي الفرنسي للطلاب" الذي ظهرت طبعته الأولى سنة 1980، وجاء في طبعته الثانية سنة 1983: "منهجية (علم المناهج): la méthodologie"¹¹⁸.

كما ورد ذكر المنهجية اصطلاحاً في مؤلفات عربية معاصرة مثل كتاب "المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية" وهو مجموعة مقالات لباحثين من المملكة المغربية، فيه يقول عبد الله العروي: "المنهجية وهي علم قائم بذاته، يأخذ الطرائق المتبعة في دراسات الآداب والتاريخ والاقتصاد وعلم النفس، إلخ... لينظر في أسسها العامة المنهجية دراسة استقرائية تصنيفية مبنية على المقارنة"¹¹⁹، إنها "علم المنهج"¹²⁰ الذي "يدرس مناهج المعرفة المختلفة ومناهج العلوم بخاصة"¹²¹، بينما المنهج في اللسان الفرنسي "la méthode" هو "طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة"¹²².

أزمة الاصطلاح بين فساد الترجمة وسوء الاستعمال (في خطاب اللسان العربي)

وهكذا، يتبين أن المنهجية علم يتخذ المنهج موضوعا للدراسة، وأما من يرادف بينهما، أو يضع أحدهما موضع الآخر فإنما يخبط العلم، ويخلط في المفاهيم تخليطا، وإذا كان الأمر كذلك بين المعلم والمتعلم فلا يستقيم التوصيل ولا ينتج من ذلك تحصيل.

وعليه، فالقول: "كتب الطالب الباحث وفق منهجية سليمة" مغلوط، وصوابه: "كتب الطالب الباحث وفق منهج سليم"، بينما يكون استعمال اصطلاح المنهجية سليما في قولنا: "المنهجية علم المنهج، وهي تعنى بالمنهج استقرار وتصنيفا ومقارنة... كما تبين قصورها أو كفاءتها في البحث العلمي وبالتالي فهي تسعى إلى تقويم المناهج وتجويدها".

وإذا كان بعض العرب قد ترجموا اصطلاح la méthodologie باصطلاح المنهجية، وهي ترجمة علمية مناسبة كون المصدر الصناعي، بالإضافة إلى وظيفته الأساسية وهي تحديد حقيقة الأشياء، فإنه قد تمخض في معاصرنا، للدلالة على العلم الباحث في موضوع بعينه مثل: الأسلوبية هي علم الأسلوب¹²³ الباحثة فيه، كما عرف العرب المعاصرون مفهوم المنهجية قبل ظهورها باصطلاحات أخرى مثل: "مناهج البحث"¹²⁴، و"علم المناهج"¹²⁵، و"علم مناهج البحث"¹²⁶، و"علم المنهج"¹²⁷.

إن المنهجية قسم من المنطق يدرس مناهج مختلف العلوم وهو مصوغ من المنهج¹²⁸ بزيادة اللاحقة (ية) علامة المصدر الصناعي.

ومما تقدم من حديث عن المنهج والمنهجية يتكشف الفرق الواسع بينهما إذ لكليهما حده وغايته، وأما المرادفة بينهما أو استعمال أحدهما موضع الآخر من قبل المعلم والمتعلم فذلك يضر بعملية التوصيل والتحصيل.

- فوضى الترجمة وضياع المفاهيم :

كل ترجمة تخون، تلك هي المقولة التي استخلصها الإيطاليون من تجربتهم مع ترجمة الموروث اليوناني وغيره إلى لسانهم، وهي الخلاصة التي ندركها مع العرب المعاصرين، أثناء ترجمتهم إلى العربية كثيرا من الآثار المختلفة، بل ويكون عنوان كتاب فردناند دو سوسير (cours de linguistique générale) مثالا لخيانة الترجمة النص المترجم، عنوان بأربع كلمات تُرجم إلى العربية بأكثر من سبع ترجمات كل واحدة تختلف عن الأخرى اختلافا غريبا نتيجة تضييع مفاهيم العنوان الأصلي كما هو في اللسان الفرنسي.

إن كلمة (cours) نجدها في الترجمة التونسية (دروس)، وفي الترجمة اللبنانية (محاضرات)، وفي الترجمة المصرية (فصول)، أما في الترجمة العراقية فقد تم حذفها دون مسوغ واضح، وهي (محاضرات) في الترجمة المغربية، ومن عدم المسؤولية العلمية نجد المترجم عبد القادر قنيني يتصرف في نص كتاب دوسوسير تصرفا مشينا، إذ هو يزعم أن كلمة (cours) من عنوان الكتاب جاءت تفيد الجمع، فقال: (محاضرات)، ولكن لما ظهرت هذه الكلمة في آخر صفحة من متن الكتاب مسبوقا باسم الإشارة هذا (ce) كتب (محاضرة)، أيعقل أن نكتب مرة هذه الكلمة بصيغة الجمع غير العاقل، وأخرى بصيغة المفرد غير العاقل (محاضرات، محاضرة)؟. إن حرف (s) في كلمة (cours) نجدها في جمعها وفي مفردها كون هذه الكلمة جامدة (mot invariable)، تظهر بصيغة واحدة في الجمع و المفرد. وأما عند بسام بركة فهي (دروس)، وعند عادل فاخوري (محاضرات).

وما يلاحظ على هذه الترجمات جميعاً أنها جاءت على صيغة الجمع، إما دروس أو فصول أو محاضرات. ويبدو أن الذين ترجموا كلمة (cours) إما أنهم ما قرؤوا قراءة سليمة متن الكتاب، وإما أنهم بوصف آخر يعجز من يقرأ ترجماتهم أن يتأوله، وعلى العموم فقد اعتدوا على عنوان كتاب دو سوسير شر اعتداء، حيث طمسوا مفهومه. لقد جاء، مثلاً، في متن الكتاب (ce cours)¹²⁹، وكذلك في الصفحة الأخيرة من الكتاب¹³⁰. إن اسم الإشارة هذا (ce) للمفرد المذكر وليس هذه (ces) للجمع، وقد نتج من هذا الغلط الضخم، بتأويل (cours) وتأويلاً يفيد الجمع، تغييراً أحد مفاهيم العنوان الأصلية، مما نجم عنه أغلاط أخرى أدت

إلى تخليط في الترجمة. وكان من ذلك التخليط في الترجمة أن جعلوا كلمة (cours) التي تفيد درساً أو دراسة، دروساً أو محاضراتٍ أو فصولاً.

ويبلغ التخليط في مفاهيم عنوان دو سوسير مداه مع ترجمة اصطلاح (linguistique) ترجمات عجيبة، حيث يجتمع لديهم الغريب والعجيب في ترجمة عنوان يتألف من أربع كلمات. لقد ترجموا الكلمة إلى أكثر من ثلاثة وعشرين ملفوظاً أغلبها لا يناسب كلمة (linguistique)، مثل: فقه اللغة، وعلم اللغة...¹³¹، ومن الترجمات التي تقارب مفهوم دو سوسير اصطلاحه، اصطلاح علم اللسان، حيث شرح دو سوسير مفهوم (linguistique) بقوله (science de la langue)¹³². وهناك من عرب فکان معرّبهُ أفضل مما تُرجمَ حفاظاً على المفهوم الأصلي، فقال: (اللانغويستيك)¹³³ مثلما فعل المسلمون الناطقون باللسان العربي حين تعاملوا مع الاصطلاح اليوناني (poetiks) ترجمةً وتعريباً، حيث ترجموا اصطلاح (poetiks) ترجمات كثيرة¹³⁴ مثل: (فن الشعر)¹³⁵، ومنهم من عرب فقال: (بويطيقا) مثل بشر بن متى،¹³⁶ وبتقدم الترجمة عند العرب في معاصرنا مع فهم أعمق لاصطلاح أرسطو، وجدنا ترجمات أكثر تعبيراً عن مفهوم أرسطو المذكور، ومن أفضل ما ترجم به اصطلاح (poetiks) في زعمنا اصطلاح (الإنشائية) لعبد السلام المسدي، حيث رفض اصطلاح (الشعرية)، إذ يرى أن لفظة الشعرية "لا تعني الوقوف عند حدود الشعر، وإنما هي شاملة للظاهرة الأدبية عموماً، ولعل أوفق ترجمة لها أن نقول الإنشائية، إذ الدلالة الأصلية هي الخلق والإنشاء"¹³⁷، وإذا كان الأمر متعلقاً بالخلق والإنشاء لاصطلاح أرسطو طاليس، فإن تحديد الإنشائية بالظاهرة الأدبية عموماً يُنقص من مفهوم (poetiks)، إذ إن هذه الكلمة عنده "تتناول الإبداع في كل أشكاله"¹³⁸.

وهكذا فإن أكفاً وأوثق اصطلاح في اللسان العربي، يتحمل مفهوم (poetiks) الأرسطي، هو (الإبداعية)¹³⁹ التي هي (علم الإبداع)¹⁴⁰.

لقد جاءت، حديثاً، الإبداعية على صيغة المصدر الصناعي، حيث استغله العرب استغلالاً حسناً لاستيعاب الاصطلاحات الوافدة أو لابتكار اصطلاحات جديدة، ويجد الملاحظ أن للمصدر الصناعي، اليوم، دلالتين بارزتين الأولى قديمة والثانية حديثة، وأما الأولى فالمصدر الصناعي يحدُ صفات الذات أو الشيء أو المعنى، مثل الأسدية صفات الأسد، والأرضية صفات الأرض، والحريّة صفات الحرّ، وأما الثانية فإنه يدل على العلم مثل: الأسلوبية هي علم الأسلوب (science de style)¹⁴¹.

وإذا كان اصطلاح (la linguistique) هو علم اللسان كما سبق ذكره، ألا يمكن أن نجتري منه عديلاً عربياً يتمتع بأصالة التأصيل العلمي؟.

أزمة الاصطلاح بين فساد الترجمة وسوء الاستعمال (في خطاب اللسان العربي)

بلى. بل أكثر من ذلك أن كثيرا من الباحثين العرب استعمل (اللّسانية) ترجمة لاصطلاح دوسوسير مثلما هو الحال عند الباحث السوري وائل بركات حينما ترجم مقالة لجورج مونان (G.mounin) بعنوان: (la linguistique) بكلمة (اللّسانية) ، وذلك ضمن كتابه (مفاهيم في بنية النص)، وكذلك استعملها كثيرون، ومنهم عادل فاخوري في كتابيه (اللسانية التوليدية والتحويلية)، و(تيارات في السيمياء)، وفاضل ثامر في كتابه (اللغة الثانية)، ومنذر عياشي في مقال نشره في مجلة الفكر العربي بعنوان: (اللسانية والتنظير)، وكذلك عزة آغا ملك في مقالها بعنوان: (الأسلوبية من خلال اللسانية)، بل إن الباحث يوسف وغيلسي قد فاضل بين اصطلاح (اللسانيات) و(اللسانية)، وفضل (اللسانية) عن (اللسانيات)¹⁴²، وعليه يكون اصطلاح اللسانية أجدى بكثير من غيره مما ترجم باصطلاح (linguistique)، إلا أن الباحثين العرب في هذا الشأن لم يلتزموا استعمال (اللسانية) وراح كلُّ منهم يتغنى بليلاه!

وقد لاحظ العديد من الباحثين قلة مراعاة هذا الفرق حتى في الأبحاث العلمية المتخصصة، وقلة مراعاة الفرق، مثلا، يظهر حتى لدى أولى الاختصاص، بينما الفصل بينها واجب علمي يفرضه الاختصاص الذي هو أساس العلوم كلها¹⁴³.

خاتمة :

تلك هي بعض الاصطلاحات التي حاولنا ما أمكن السعي إلى معالجتها، جرحا وتعديلا، من أجل توضيح شيء من مفاهيمها الحقيقية التي رانت عليها غشاوة سوء الترجمة أو سوء الاستعمال في تدريس اللسان العربي وآدابه بالجامعات العربية.

- إن مثل هذه الأخطاء التي تسري في دروس الأدب العربي، تجعل من المعلم باذرا غلاط والمتعلم جاني أوهام، ونتيجة ذلك كله فساد التحصيل بفساد التوصيل في الدرس الأدبي عندنا.

- إن صناعة الاصطلاح الدقيق الذي يتمتع بكفايته المفهومية يجب أن يخضع على الأقل للحس المدرب والدّوق السليم والعقل الراجح. ودون ذلك يدخل الاصطلاح في فوضى لا تُنتج إلا عى البصائر وتصحر الأذواق و تجلّف الحس.

الهوامش والإحالات:

¹ يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008، ص:11،12.

² عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس العاصمة، تونس، ط2، 1982، ص: 146.

³ علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1998، ص: 45.

- ⁴ حافظ إسماعيلي، ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (الحوار الخاص بـمازن الوعر)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2009، ص: 108.
- ⁵ أحمد حاطوم، اللغة ليست عقلا، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ص: 140، 143.
- ⁶ بسام بركة، معجم اللسانية، منشورات جروس-برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1985.
- ⁷ أحمد حاطوم، في مدار اللغة واللسان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص: 05.
- ⁸ م. ن. ص: 33.
- ⁹ م. ن. ص. ن.
- ¹⁰ أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية - حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، الجزائر، (د. ط)، 2000، ص: 36.
- ¹¹ Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, ed. talantikit, Bejaïa, 2002, p: 15.
- ¹² جورج يول، معرفة اللغة، تر. محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، (د. ط)، 1999، ص: 169.
- ¹³ م. ن. ص. ن.
- ¹⁴ أحمد حاطوم، في مدار اللغة واللسان، م س، ص: 35.
- ¹⁵ عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، الجزائر، (د. ط)، 1983، ص: 05.
- ¹⁶ حمادي صمود، في نظرية الأدب عند العرب، دار شوقي للنشر، تونس العاصمة، تونس، ط1، 2002، ص: 22، هامش: 08.
- ¹⁷ دار المشرق، المنجد الفرنسي العربي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص: 770.
- ¹⁸ dictionnaire en couleurs de la langue française, hachette ed. 1990, paris, p: 753.
- ¹⁹ جورج يول، معرفة اللغة، تر. محمود فراج عبد الحافظ، م س، ص: 169.
- ²⁰ Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p : 21.
- ²¹ أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية - حقل تعليمية اللغات، م س، ص: 06.
- ²² فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر. عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، (د. ط)، 2008، ص: 29، 30.
- ²³ أحمد حاطوم، اللغة ليست عقلا، م س، ص: 139.
- ²⁴ أحمد حاطوم، في مدار اللغة واللسان، م س، ص: 36.
- ²⁵ م. ن. ص: 39.
- ²⁶ ابن جني، الخصائص، ج4، تح. محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، ط4، 1999، ص: 34.
- ²⁷ أحمد حاطوم، في مدار اللغة واللسان، م س، ص: 40.
- ²⁸ م. ن. ص. ن.
- ²⁹ ابن منظور، لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1968، ص: 07.
- ³⁰ م. ن. ص: 08.
- ³¹ أحمد حاطوم، في مدار اللغة واللسان، م س، ص: 38.
- ³² م. ن. ص: 37.
- ³³ Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p: 13- 22 .
- ³⁴ القرآن الكريم، سورة الروم، الآية: 22.
- ³⁵ القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية: 4.
- ³⁶ أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية - حقل تعليمية اللغات، م س، ص: 6، 7.

37 م س، ص: 6

38 Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p: 15

39 Ibid. Idem

40 أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليمية اللغات، م س، ص: 6

41 م. ن. ص. ن

42 فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر. عبد القادر قنيني، م س، ص: 23.

Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p: 14, 15.

43 يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 506

44 ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1،

2009، ص: 263

45 عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس العاصمة، تونس، ط2، 1982، ص: 9 وما بعدها

46 جماعة من المؤلفين، مفهومات في بنية النص، تر. وائل بركات، دار معد، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1،

1996، ص: 9 وما بعدها

47 Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p: 21

48 حلبي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د. ط)، 2002، ص: 9 وما بعدها

49 يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 112 هامش: *

50 فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر. عبد القادر قنيني، م س، ص: 11 وما بعدها

51 عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس العاصمة، تونس، (د. ط)، 1994، ص: 9

وما بعدها

52 أحمد حاطوم، في مدار اللغة واللسان، م س، ص: 36

53 يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 112 هامش: *

54 جماعة من المؤلفين، مفهومات في بنية النص، تر. وائل بركات، م س، ص: 9 وما بعدها

55 بسام بركة، معجم اللسانية، منشورات جروس – برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1985.

56 يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 112 هامش: *

57 م ن، ص: 112 هامش: 1

58 م. ن. ص: 13، 28 وما بعدها

– مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1974، ص: 565.

59 يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 499

60 محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مطبعة أمزيان، الجزائر العاصمة، الجزائر، (د. ط)، (د.)،

(ت) ، ص: 127.

61 م. ن. ص: 127، 128.

62 يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 500

63 م. ن. ص: 501

64 م. ن. ص. ن.

65 عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، م س، ص: 34.

– جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص: 20

- ⁶⁶ يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 506
- ⁶⁷ م. ن. ص: 183
- ⁶⁸ جماعة من المؤلفين، مفهومات في بنية النص، تر. وائل بركات، م س، ص: 9-15، 46.
- ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، م س، ص: 180.
- يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 506.
- أحمد حسن صبرة و سعد سليمان حمودة، التفكير الاستعاري والدراسات البلاغية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، ط2، 2002، ص: 8.
- ⁶⁹ أحمد حاطوم، في مدار اللغة واللسان، م س، ص: 36
- ⁷⁰ م. ن. ص. ن
- ⁷¹ محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، م س، ص: 127، 128.
- ⁷² م. ن. ص: 222-224.
- ⁷³ القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري، شرح ملحمة الإعراب، تح. غريد يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 96
- ⁷⁴ يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 506.
- ⁷⁵ جماعة من المؤلفين، مفهومات في بنية النص، تر. وائل بركات، م س، ص: 7-15، 46.
- ⁷⁶ أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط2، 2013، ص: 34.
- ⁷⁷ جوليا كريستيفا، علم النص، تر. فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997، ص: 16
- ⁷⁸ حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (الحوار الخاص لمازن الوعر)، م س، ص: 108.
- ⁷⁹ عودة، تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، م س، ص: 263.
- ⁸⁰ أحمد حاطوم، اللغة ليست عقلا، م س، ص: 138
- ⁸¹ م. ن. ص: 139.
- ⁸² Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p: 14- 22
- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر. عبد القادر قنيني، م س، ص: 23-31
- ⁸³ أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، م س، ص: 23
- ⁸⁴ م. ن. ص: 34.
- ⁸⁵ م. ن. ص: 36.
- ⁸⁶ م. ن. ص: 37.
- ⁸⁷ م. ن. ص: 38.
- ⁸⁸ م. ن. ص: 39.
- ⁸⁹ م. ن. ص: 68.
- ⁹⁰ يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 489
- ⁹¹ م. ن. ص. ن.
- ⁹² رايح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، (د. ط)، (د. ت)، ص: 3.

- رابع بوحوش، اللسانيات وإشكالات النقل وتحديد المفاهيم اللسانية، مجلة اللسانيات واللغة العربية، ع 5، منشورات
مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، سبتمبر 2008، ص: 92
- ⁹³ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، (د.
ط)، 2012، ص: 21 هامش 13.
- ⁹⁴ عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،
الرغاية، الجزائر، (د.ط)، 2012، ص: 160، 274
- ⁹⁵ حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (الحوار الخاص بمازن الوعر)، م س، ص:
110-112.
- ⁹⁶ أبو حامد الغزالي، المنتقد من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، م س، ص: 14.
- ⁹⁷ م. ن. ص: 36
- ⁹⁸ جوليا كريستيفا، علم النص، تر. فريد الزاهي، م س، ص: 17.
- ⁹⁹ م. ن. ص: 16.
- ¹⁰⁰ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 4، تح. عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003،
ص: 270، 271
- ¹⁰¹ مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، م س، ص: 318
- ¹⁰² غازي عناية، منهجية البحث العلمي عند المسلمين، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1985، ص: 93
- ¹⁰³ م. ن. ص. ن
- ¹⁰⁴ عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 3، 1977، ص: 4
- ¹⁰⁵ علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 5، 2003، ص: 20
- ¹⁰⁶ عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، م س، ص: 7
- ¹⁰⁷ م. ن. ص: 35.
- ¹⁰⁸ علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، م س، ص: 20
- ¹⁰⁹ رينيه ديكرت، مقال عن المنهج، تر. محمود محمد الخضير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 3، 1985،
ص: 190-192
- ¹¹⁰ محمد علي عبد الكريم الرديني، وشلتاغ عبود، منهج البحث الأدبي واللغوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)،
2010، ص: 156
- ¹¹¹ رينيه ديكرت، مقال عن المنهج، تر. محمود محمد الخضير، م س، ص: 192، 193
- ¹¹² محمد علي عبد الكريم الرديني، وشلتاغ عبود، منهج البحث الأدبي واللغوي، م س، ص: 155، 158.
- ¹¹³ محمد خان، منهجية البحث العلمي، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر،
ط 1، 2011، ص: 13
- ¹¹⁴ محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، م س، ص: 127، 128
- ¹¹⁵ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1992، ص: 75
- ¹¹⁶ علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، م س، ص: 9
- ¹¹⁷ دار المشرق، المنجد الفرنسي العربي، م س، ص: 586
- ¹¹⁸ جوزف نعوم حجار، المنجد العربي الفرنسي للطلاب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط 2، 1983، ص: 1453

- ¹¹⁹ عبد الله العروي، المنهجية بين الإبداع والإتباع، ضمن كتاب: المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2001، ص: 9.
- ¹²⁰ علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، م س، ص: 20
- ¹²¹ م. ن. ص. ن.
- ¹²² م. ن. ص: 19.
- ¹²³ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، م س، ص: 34
- ¹²⁴ مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، م س، ص: 318
- ¹²⁵ غازي عناية، منهجية البحث العلمي عند المسلمين، م س، ص: 94.
- ¹²⁶ تركي رايح، مناهج البحث في علوم التربية وعلم النفس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر العاصمة، الجزائر، (د. ط)، 1984، ص: 22.
- ¹²⁷ علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، م س، ص: 20.
- ¹²⁸ dictionnaire en couleurs de la langue française, hachette, loc. cit. p : 821
- ¹²⁹ Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p : 174
- ¹³⁰ Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p : 280
- ¹³¹ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1984، ص: 72.
- ¹³² فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر. عبد القادر قنيني، م س.
- Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, loc. cit. p: 25
- ¹³³ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، م س، ص: 72
- ¹³⁴ يوسف وجليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 282 - 285 .
- ¹³⁵ أرسطوطاليس، فن الشعر، تر: عبدالرحمن بدوي، دارالثقافة، بيروت، لبنان، (د.ط) ، (د.ت).
- ¹³⁶ حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص: 15.
- ¹³⁷ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، م س، ص: 171
- ¹³⁸ إيف ستالوني، الأجناس الأدبية، تر. محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص: 159
- ¹³⁹ خليل الموسى، جماليات الشعرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سورية، دمشق، (د.ط)، 2008، ص: 20 .
- ¹⁴⁰ مروان فارس، علم الإبداع، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1990 .
- ¹⁴¹ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، م س، ص: 34
- ¹⁴² يوسف وجليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، م س، ص: 506.
- ¹⁴³ أحمد حاطوم، اللغة ليست عقلا، م س، ص: 138.